

(١)

قيمة الاحترام

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه الكريم: {وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ}، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولَهُ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَيْهِ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ، وبعد:

فإن التمسك بالأخلاق الفاضلة والقيم النبيلة من أهم ركائز قيام الدول والحضارات، ولا يمكن أن تُبنى الحضارات بناءً سديداً، وتستقر، وتتفوق على غيرها إلا إذا قامت على الأخلاق والقيم؛ حيث يقول تعالى: {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ}.

وإنما تماسك المجتمعات، وتآلف، ويقوى رباطها من خلال احترامها لقيمها، وامثالها لها، والله در القائل:

وَإِنَّمَا الْأُمَّةُ الْأَخْلَاقُ مَا بَقِيَتْ *** فَإِنْ هُمْ ذَهَبَتْ أَخْلَاقُهُمْ ذَهَبُوا

ولا شك أن قيمة الاحترام من أهم هذه القيم الإنسانية النبيلة التي دعا إليها الإسلام، والتي يتمنى كل إنسان أن ينتسب إليها أو يوصف بها، ولقد دعا ديننا الحنيف إلى التحلي بهذه القيمة في جميع صورها، ومنها: احترام الذات بأن يرعى الإنسان مروءته، ويصون نفسه عن فعل ما يعاب به أو يُذمّ، فيجتنب مواطن الريبة والتهمة، حيث يقول نبينا (صلى الله علي وسلم): (فَمَنْ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ فَقَدِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ)، ويقول (صلى الله عليه وسلم): (لَا يَنْبَغِي لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يُذِلَّ نَفْسَهُ)، ويقول القاضي الجرجاني:

وما زلتُ منحازاً بعرضي جانباً * من الذلِّ أعتدُّ الصيانةً مغمناً

يقولون هذا مشربٌ قلتُ قد أرى * ولكنَّ نفسَ الحرِّ تحتملُ الظَّما

وما كلُّ برقٍ لاحٍ لي يستفزُّني * ولا كلُّ من في الأرضِ أرضاه مُنعمًا

ويقول آخر:

وَأَسْتَفُّ تُرْبَ الْأَرْضِ كَيْلَا يُرَى لَهُ * عَلَيَّ مِنَ الطَّوْلِ أَمْرٌ مُتَطَوَّلٌ

ويقول عنتره العبسي:

فأرى مغانمَ لو أشاء حويتها *** فيصدني عنها الحياء وتكرمي

ومنها: احترام المختلف دينياً أو عرقياً أو ثقافياً، باحترام حقوقه المادية والمعنوية، فلآخر حق احترام جسده وماله وممتلكاته، وحرية وكرامته، وعقيدته، والإسلام دين يحترم الإنسان، ويدعو إلى احترامه وتكريمه، حيث يقول تعالى: {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ}، ويقول سبحانه: {لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ}، ويقول تعالى: {لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُفَاقِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ}، ويتجلى ذلك حين مرّت جنازة، فقام لها نبينا (صلى الله عليه وسلم)، فقيل: يا رسول الله، إنها جنازة يهودي؟! فقال (صلى الله عليه وسلم) (أَلَيْسَتْ نَفْسًا؟!).

ومنها: احترام الكبير سناً أو مقاماً، وتوقيره، وتقديره، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): (لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا، وَيُوقِّرْ كَبِيرَنَا)، ويقول (صلى الله عليه وسلم): (أَنْزِلُوا النَّاسَ مَنَازِلَهُمْ)، وقد تجلت تلك القيمة حين أمر نبينا (صلى الله عليه وسلم) الصحابة رضي الله عنهم بالقيام إلى سيدنا سعد بن معاذ (رضي الله عنه) وقال لهم: (قُومُوا إِلَيَّ سَيِّدِكُمْ)، وقال سيدنا عمر بن الخطاب (رضي الله عنه): أبو بكر سيدنا، وأعتق سيدنا - يعني: بلالاً (رضي الله عنه)، وعندما سأل نبينا (صلى الله عليه وسلم) أصحابه (رضي الله عنهم) عن شجرة مثلهما مثل المسلم، نُوتِي أكلها كل حين بإذن ربها، ولا يسقط ورقها، وقع في نفس سيدنا عبد الله بن عمر (رضي الله عنهما) أنها النخلة، وكانت إجابته صحيحة، ولكنه مع صغر سنّه كره أن يجيب النبيّ (صلى الله عليه وسلم)

(٣)

في حضرة الصحابيين الكبيرين أبي بكر وعمر (رضي الله عنهما) احتراماً لهما، ولكبار الصحابة (رضي الله عنهم).

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم)، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إن من أرقى صور الاحترام: احترام المعلم، وتوقيره، والتواضع له، والوفاء بحقه، لا سيما أن الإسلام قد أعلى قدره، وكرمه، حيث قرن الله (عز وجل) شهادته وشهادة الملائكة بشهادة العلماء، فقال تعالى: {شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}، ويقول سبحانه: {يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ}، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): (وَإِنَّ الْعَالِمَ يَسْتَعْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالْحَيَاتَانِ فِي الْمَاءِ، وَفَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ تَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، إِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ). ويقول الشاعر:

قُمْ لِلْمُعَلِّمِ وَفِيهِ التَّبَجِيلَا
كَادَ الْمُعَلِّمُ أَنْ يَكُونَ رَسُولَا
أَعْلِمْتَ أَشْرَفَ أَوْ أَجَلَّ مِنَ الَّذِي
يَبْنِي وَيُنْشِئُ أَنْفُسًا وَعُقُولَا

فما أحوجنا إلى أن تسود قيمة الاحترام في مجتمعاتنا؛ وتتحول إلى ثقافة عامة يتعايش بها الصغير والكبير، والرجل والمرأة، ويحيا بها المجتمع ويرتقي؛ حتى يعم التألف، والرفقي، والتقدم، والاستقرار.

اللهم اهدنا لأحسن الأخلاق، واحفظ بلادنا وسائر بلاد العالمين